الإستشراق و الفكر العربي

لقد اهتم المستشرقون الألمان اهتماما كبيرا بالدراسات العربية ،و وحاولوا الكشف عن جوهر الشعر العربي مطبقين عليه مناهج جديدة بما يستجيب لخصوصيات الشعر العربي ،لأن الدراسات العربية بوجه عام مازالت بحاجة للفحص و المدارسة تبرز مفهوماتها و تفصل دقائقها و في الحقيقة تعد مغامرة جريئة تسم بكثير من الجهد، لدراسة الأدب العربي و خاصة الشعر منه بطرق جديدة و مناهج خاصة تتميز بالطابع العقلاني الذي نظر إلى هذا الشعر نظرة قواعدية، ومن مدارس التي اهتمت بالشعر العربي نجد المدرسة الألمانية و التي اعتمت في دراسة الحضارة العربية و قراءتها قراءة جوهرية بعيدة عن السياسة ، حيث اتجهت إلى دراسة الأدب العربي بشعره و نثره، وحاولت بذلك ترجمة الشعر الجاهلي و المقامات وقصص ألف ليلة و ليلة ، و هذا عن طريق العقلانية في طرح الأفكار و معالجتها بعيدة عن التحريف والعبث تراثنا وحضارتنا و هذا ما جعل المستشرقون الألمان يتميزون بالصبر و المثابرة فمنهم من فقد بصره مثل (وستيفد) و منهم من أفنى عمره باحثا و منقبا حتى أن (يوهان رابيكة) سمي بشهيد الأدب العربي.

إن المستشرقون الألماني امتازوا بالروح العلمية و التجرد و الانصاف و الدقة العلمية التي جلبوا عليها فقد ساهموا مساهمة كبيرة في فهرسة المخطوطات العربية والإسلامية مركزين على التفسير والتصنيف بطرق منهجية جديدة و الدليل على ذلك أن نجد (برو كلمان) استغرق نصف قرن في إنجاز كتابه المعروف: تاريخ الأدب العربي هذا الكتاب هو "عمل مرجعي لا يستغني عنه أي باحث"

لقد أظهر المستشرقون قواعد الألمان هذه المخطوطات العربية إلى الوجود،وحاولوا تنقيحها و تهذيبها ،وقد تمثل هذا الإنجاز بالمنهج الأصيل الذي اصطنعه هؤلاء المستشرقون الذي يمتاز بالدقة العلمية و التفاعل الواضح مع النصوص الشعرية، وخاصة الجاهلية منه فقد جلبت هذه المخطوطات العربية اهتمام المستشرقون لما فيها من زحم علمي و فكري كبيرين و قد كان ذلك أهم إنجاز يقدمه المستشرقون خدمة باللغة العربية و الحرف العربي

من ناحية التحقيق و التمحيص و نفض الغبار عن تراثنا وحضارتنا محاولين أن يكون هذا التحقيق مبنيا على الدقة العلمية و "فيه من الدقة والعمق و الشمول و الجدة جعله مرجعا للعلماء من الشرق إلى الغرب ، و يرجعون إليه في دراستهم و ينقلون عنه إلى لغتهم " [4]،و هذا يدل دلالة واضحة على اهتمام الألمان بالدراسات العربية على اختلافها، فترجموا القرآن الكريم و السيرة النبوية، و أعطوا أهمية خاصة للمخطوطات الإسلامية وهدفهم في ذلك معرفة عادات و تقاليد العرب المختلفة بالإضافة إلى الاستفادة من هذا الزحم المعرفي الكبير الموجود بين طيات هذه المخطوطات "فقد طبق المستشرقون في النصوص العربية القواعد التي تتبع في أوروبا لنشر النصوص اليونانية و هي قواعد تضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله "و هذا ما يبين لنا جهود المستشرقين الألمان و ما قدموه من خدمات جليلة للغة العربية و آدابها " إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره الفرنسيون و الإنجلزيون ".

لقد لعب المستشرقون دورا فعالا في تحقيق و فهرسة ونشر المخطوطات العربية ، كما تميز المستشرقون الألمان عن غيرهم من المستشرقين فجعوا المخطوطات عن طريق واحد هو الاهداءات والشراء بعكس المستشرقين الإنجليز والفرنسيين الذين جمعوا عن طريق السرقة و الاعتداء، وهذا نظرا لاستعمارهم للبلدان العربية و هكذا جاء اهتمام المستشرقون الألمان منصبا في دراستهم لشعرنا و آدبنا على الصدق في معالجتهم لتراتنا .

و إن كان البعض منهم و هي فئة قليلة جدا تعلمت اللغة العربية و تحكمت في ناصيتها لضرب الحضارة العربية في الصميم و العبث بتراثنا وإظهاره مظهر لا يليق بمكانته ولكن هناك من كان صادقا في دراسته للغة العربية و حضارتهم فهذا (روسكا) يؤكد على هذا فيقول : "ليست الإشعار اليدوية و لا الأدب الذي نشأ بعد ظهور الإسلام هذا الذي جعل اسم العرب لا معا في الغرب،إذا أردنا أن نفكر بتأثير الحضارة العربية الإسلامية في الغرب المسيحي فيجب علينا أن نفكر أن الرياضيات العربية والفلك و الكمياء والطب تلك الفروع التي تعلم منها الغرب بجد ونشاط قرونا عديدة قبل اكتشاف العلوم اليونانية و لا تزول كثيرا من التعابير العربية المتداولة تنبؤ عن ازدهار العلوم تحت راية الإسلام ".

وكان سبلهم الوحيد لدراسة الآداب العربي بشعره و نثره هو إتباع منهج الشك إن صح هذا القول و في اعتقادهم أن الشك لم يكن إلا محاولة زائدة لتأطير العقل و توظيفة و إبعاده عن الخطأ و الزلل،وهو يشكل الجانب الإنساني في هذا الإطار ،فالمستشرقة المعروفة (هونكة) على ساحة العربية بإنصافهم للحضارة العربية كانت يستخدم هذا المنهج و لكن ليست كالمستشرقين الأخريين الذين بالغوا في الشك في كل شيء حتى الشعر الجاهلي لم يسلم من هذا المنهج إن صح هذا التعبير فانكروا بعض الشعراء الجاهلين و شككوا في وجودهم و إن أشاروا إلى أن هؤلاء الشعراء لم يكن لهم وجود على أرض الواقع،وإنما هم شعراء من محض الخيال ،مثل إمرؤ قيس شيخ الشعراء و غيرهم كثر، فهذه الفكرة رفعت راية الإسلام و أعلنت جهرا أن الحضارة العربية هي جعلت الغرب يصل إلى هذه القمة التي هو فيها و لولا هذه الحضارة لما تقدم العرب و لأصبح يتخبط في ظلمات ما بعدها ظلمات حيث أكدت أن الطب الأوروبي كانت تسيطر عليه الكنيسة "وضع اليد لطرد الشيطان هذه كانت أحسن أدوية للشفاء كان الأطباء الأوربيون وهم في أزياء القسيسين و الرهبان لشفاء المرض".

كما أكدت هونكة نصوصا كثيرة تبيين فيه فصل العرب و نبوغهم في مجال الرياضيات على العالم الغربي"يعد العرب أنفسهم هم الذين جعلوا من الأرقام الهندية فجرد الإطلاع بواسطة الصفر والأرقام الحديثة العهد المبتكرة من قبلهم ،أداة طبيعة منظمة سهلة الاستعمال للتعدد العلمي و الرياضيات التي اعتبرت من علوم المستقبل ،وبذلك يكون العرب قد تفوقوا بالخطوة الحاسمة حتى على البابليين و اليونان والرمان و حتى على الهنود الذين اشتهروا بمهمتهم في الرياضيات " و قد أثارت قضايا كثيرة حول الحضارة العربية و تقدم العلمي الذي اشتهر به و نبغوا فيه كما يشهد على ذلك كتابها المعروف (شمس العرب تستطيع على الغرب) و يستطيع المتتبع لإنتاجها العلمي أن يميز مسارها الطويل في دفاعها عن الإسلام ومسلمين و هذا من خلال الدقة العلمية و العقلانية في طرحها للقضايا العلمية و معالجتها معالجة علمية بحتة و بهذا أنصفت الإسلام إنصافا باهرا ،كما أشارت هذه المستشرقة لجهود الخوارزمي في علم الرياضيات ،وهذا ما جعل الغرب يعترفوا بهذا المجهود الجبار الذي قام به هذا المفكر العظيم في تبسيط الرياضيات و في هذا تقول (هونكة) "قدكتب خلود اسمه

بتألفيه لكتاب مهم في الرياضيات و هو كتاب الجبر و المعادلة و قد ترجم إلى اللاتنية. في العصور الوسطى حاملا اسمه العربي Allégorie و هي عالمية خلدت خلدت اسمه .

لقد ركز الإستشراق الألماني و اهتم اهتماما بالغا في دراسة المواضيع العلمية حول الحضارة العربية.

لقد اهتمت الجامعات الألمانية اهتماما بالغا بدراسة اللغة العربية و خصصت لها كراسي متعددة منذ القرن السادس عشر و من خلال هذه الجامعات أخذت الإنتاج العلمي يبرز إلى الوجود فظهر أول كتاب ليونتكة بعنوان " رسالته بولوس الرسول" تم ظهر كتاب ثم ظهر له كتاب آخر (تاريخ القرآن) و بفضله نال درجة دكتوراه سنة 1856 و هذا أهم كتاب له ،واشتهر به على الإطلاق و قد اهتم بدراسة الشعر العربي وتفاعل مع هذه النصوص الشعرية تفاعلا كثيرا ،وحاول ضبط الخصوصية التي تميز الشعر العربي كما كان اهتمامه مصبا على النحو المقارن في الدراسات السياسية ،وسار على هذا المنهج العلامة (رايسكة) إذ قام بشراء إجزاء من مقامات الحريري ،ومن هنا نجد أن المستشرقين الألمان ركزوا على علوم الشرق والحضارة العربية بصفة خاصة ،ومن أمثالهم المستشرق (فوسنفلد) الذي قام بتمحيص عدد كبير من الكتب و تحقيق معجم البلدان ليقوت الحموي ،وقد استثمر المستشرقون من حقول معرفية في الأدب العربي بشعره و نثره ونجحوا في تطبيق المعارف العقلانية على تراثنا العربي وفي مجالات متخصصة مما ساعدتهم على التقدم بخطوات هامة و نثره و نجحوا في قطبيين هذا المعارف العقلانية على تراثنا العربي على في مجالات متخصصة مما ساعدتهم على التقدم بخطوات هامة إلى الإلمام كما واجهتم صعوبات عديدة عند التطبيق دفعتهم إلى التشكيك في هذا المجال .

و نجد أن جل الدراسات التي قام بها المستشرقون الألمان تميزت بالموضوعية والتجدد والإنصاف،ومعالجة القضايا العلمية معالجة علمية أكاديمية بعيدة عن التعصب متميزة بالمنهج العلمي الصارم تحقيقا وتأليفا وترجمة ،وإن كان بعضهم شك في بعض القصائد العربية و خاصة الشعر الجاهلي فيجد (نولدكه) هذا المستشرق المعروف يقول : "إن تخلل و

تراكيب القصائد العربية ساعد على سقوط بعض الأبيات و المواضيع أو تغيير في تراكيبها فلو لم يكن تركيب الأجزاء اعتباطيا و لو يكن بنائها مصففا كما يعتقد أن الشكل الحالي للقصيدة للجاهلية سيكون أكثر إحكاما ورسوخا "

ثم يرى أن القصيدة الجاهلية تفتقروا إلى الوحدة الموضوعية و تفكيكها "طالما كانت القصائد القديمة حية تعرض على أفواه الناس ،فإنها كانت معرضة لمخاطر التزيف و التحريف والخلط في الترتيب بين الأبيات في القصيدة الواحدة " و هذا ما دفع (نولدكه) إلى الشك في بعض القصائد العربية .